

الكشاف

" اتل ما أوحى إليك من الكاتب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر أكبر وإِ يعلم ما تصنعون " الصلاة تكون لطفا في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها . فإن قلت : كم من مصل أترتكب ولا تنهيه صلاته ؟ قلت الصلاة التي هي الصلاة عند إِ المستحق بها الثواب : أن يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقياً ؛ لقوله تعالى : " غنما يتقبل إِ من المتقين " المائدة : 27 ويصلها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم : كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقني وأصلي بين الخوف والرجاء ؛ ثم يحوطها بعد أن يصلها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر . وعن ابن عباس رضِ إِ عنهما : من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من إِ إلا بعدا . وعن الحسن C : من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه . وقيل : من كان مراعيًا للصلاة جره ذلك إلى أن تنتهي عن الشئثات يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول إِ A إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال : إن صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركب فوصف له فقال : إن صلاته ستناه فلم يلبث أن تاب . وعلى كل حال إن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها . وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول : إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخلصة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم " ولذكر إِ أكبر " يريد : وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر إِ كما قال : " فاسمعوا إلى ذكر إِ " الجمعة : 9 وإنما قال : ولذكر إِ : ليستقل بالتعليل كأنه قال : وللصلاة أكبر لأنها ذكر إِ عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى عن اللطف الذي في الصلاة . وعن أبي عباس رضِ إِ عنهما ولذكر إِ إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته " وإِ يعلم ما تصنعون " من الخير والطاعة فيثيبهم أحسن الثواب .

" ولا تجادلوا أهل الكتاب آلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولا ثامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإِلهنا وإِلهكم واحد ونحن له مسلمون " " بالتي هي أحسن " بالخلصة التي هي أحسن : وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم . والسورة بالأنابة كما قال : " ادفع بالتي هي أحسن " المؤمنين : 96 ، " إلا الذين ظلموا " فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق . فاستعملوا معهم الغلظة وقيل : إلا الذين آذوا

رسول A : وقيل إلا للذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا : يد A مغلولة . وقيل معناه
ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا
الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم بالسيف . وعن قتادة : الآية منسوخة بقوله تعالى
: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر " التوبة : 29 ولا مجادلة أشد من السيف :
وقوله : " وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا " من جنس المجادلة بالتي هي أحسن . وعن النبي
كان فإن ورسله وكتبه بالله آمنة وقولا تكذبوهم ولا تصدقونهم فلا الكتاب أهل حدثكم ما : A
باطلا لم تصدقوهم وإن حقا لم تكذبوهم .

" وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين ءاتينهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به
وما يجحد بئائنا إلا الكافرون " ومثل ذلك الإنزال " أنزلنا إليك الكتاب " أي أنزلناه
مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله : آمنة بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم . وقيل
: كما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب " فالذي ءاتينهم الكتاب " هم
عبد الله بن سلام ومن آمن معه " ومن هؤلاء " من أهل مكة وقيل : أراد بالذين أوتوا الكتاب
الذين تقدموا عهد منهم " وما يجحد بئائنا " مع ظهورها وزوال الشبهة عنها إلا المتوغلون
في الكفر المصممون عليه . وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه